"التحولات الاجتماعية في المجتمع المصري وانعكاساتها على الوعي بالهــوية الوطنيــة"

رؤيــة سوسيوتاريخية

إعداد

أسماء حامد إبراهيم مبروك القمحاوي

معيدة بقسم الاجتماع – كلية البنات – جامعة عين شمس

تحت إشراف

أ.د /اعتماد محمد علام

أستـــاذ علـم الاجتمـــاع

كلية البنات – جامعة عين شمس

أ.د / علياء رضاه رافع

أستـــاذ علم الاجتمـــاع

كلية البنات – جامعة عين شمس

الملخص:

تهدف هذه الورقة إلى محاولة التعرف على التغيرات التي طرأت على الوعي بالهوية الوطنية في المجتمع المصري في ضوء التحولات السياسية والاجتماعية والثقافية التي شهدها المجتمع منذ فترة محمد علي؛ حيث تعد هذه الفترة بداية الحركات الاصلاحية والوطنية، وتأسيس دولة مصر الحديثة حتي الوقت الراهن مرورا بثورتي ٢٥ يناير ٢٠١١م و٣٠ يونيو٢٠١٤م. وسيتم تقسيم هذه الفترة إلى مراحل متداخله حيث كل مرحلة يختلف الوعي بالهوية الوطنية بداخلها عن المراحل التالية؛ فكل مرحلة يخضع الوعي بداخلها لظروف البناء الاجتماعي والسياسي والثقافي الذي يشكلها. وأيضا رصد العوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى إحداث تغيرات في مستوي الوعي، وذلك من خلال التتبع التاريخي للوعي الوطني عبر المراحل التاريخية المختلفة. وتكشف الورقة عن فترات ارتفع فيها الوعي بالهوية الوطنية إلى ذروته تمثلت في: ثورة ١٩١٩م، وثورة ١٩٥٢م، وحرب أكتوبر ١٩٧٣م، وثورة ٢٥ يناير٢٠١١م و٣٠يونيو٢٠١٣.

ومن الملاحظ أن الوعي بالهوية يتناسب في كل مرحلة تاريخية بالظروف التي تمر بها البلاد؛ فكان الوعي بالهوية يرتفع عندما يشعر المصري بالتهديد من مستعمر خارجي يحاول اغتصاب الأرض والوطن أو نتيجة لنظام داخلي تفشي بداخله الفساد وتدنت الحياة المعيشية للمواطن وتراجعت العدالة. كذلك نجد أن الوعي بالهوية الوطنية يبرزبقوة لتأكيد الشخصية المصرية الحضارية عندما تلاقى عوامل تحاول أن تضعفها أو تمحها أو تستبدلها بهويات أخرى، كما حدث في فترة الخلافة العثمانية، أو عندما تولى الإخوان المسلمون الحكم بعد ثورة يناير ٢٠١١، وكانت محاولة طمس الشخصية المصرية الحضارية سببا في قيام انتفاضة ٣٠ يونيو ٢٠١٣.

تمهيد:

يعد الإنسان ظاهرة تاريخية اجتماعية، تتحدد سماته بالمرحلة التاريخية التي يمر بها مجتمعه، لأنه في تفاعل مستمر مع المجتمع في سياقة التاريخي، أي أن الإنسان نتاج التفاعل مع الوسط الثقافي الذي يحيط به والواقع الاجتماعي المرتبط بالظروف الاقتصادية والسياسية الذي يعيش فيها، أما الوعي بالهوية الوطنية فهو مرتبط بوعي تاريخي متراكم يظهر في حالة التحديات التي يواجهها المجتمع.

يفرض موضوع الهوية الوطنية نفسه في أية دولة وأي بلد في حالة الأزمات وقد شهد المجتمع المصري تغيرات وتحولات في القرنين العشرين والحادي والعشرين. وكان لكل مرحلة تاريخية انعكاس واضح على الوعي بالهوية الوطنية لما تحمله كل مرحلة من إنجازات ومكتسبات وممارسات وايديولوجيات. والوعي بالهوية يتجدد ويرتبط بالتحديات التي يواجهها المجتمع في كل مرحلة تاريخية، عبر الوعي بالهوية الوطنية، نجد على سبيل المثال أن الوعي بالهوية الوطنية ظهر أثناء الاحتلال من خلال حركات مطالبة بالاستقلال، بينما الوعي بالهوية الوطنية يتجلي في بعض الأحيان في مقاومة تيارات التغريب سواء الديني أو الغربي؛ فقد يختلط الدفاع عن الهوية بالدفاع عن الدين في بعض الأحيان. (محمد نعمان ومجدي متولي، ١٩٩٧م: ٥؛ محمود أمين العالم: ١٦- ١٧)

نجد أن الفترة التي سبقت ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣، كانت فترة عصيبة في تاريخ مصر، حيث حاول حكم الإخوان أن يذيب هوية الشعب الحضارية في هوية إسلامية، اتجاهًا نحو تكوين نظام جديد، تذوب فيه مصر بخصوصيتها الحضارية، ويحل مفهوم الخلافة محل الدولة القومية الوطنية. ولقد كانت ثورة ٣٠ يونيو في أحد جوانبها دفاعاً عن خصوصية مصر وهويتها. ونظراً إلى أن الإسلام السياسي من ناحية، والاتجاهات الدينية السلفية من ناحية أخرى كانت قد بدأت في نشر أيديولوجياتها ما قبل الثورتين، فإن تأثير هذا الاتجاه على تزييف وعي الشباب أصبح أمراً جديرًا بالبحث.

وإذا أضفنا إلى هذه الظروف الخاصة، الحالة العامة في العالم، من حيث تعدد مصادر تكوين الهوية نتيجة لفاعلية قنوات التواصل الاجتماعي في تشكيل وعي الشباب، ونتيجة لكل مظاهر العولمة الأخرى، حيث أصبح العالم قرية كبيرة، تتسم بعدم الاستقرار، وتؤثر عليها القيم الاستهلاكية ونمط الحياة السريع، فإن هذه التأثيرات المختلفة قد أثرت بشكل مباشر وغير مباشر على وعي الشباب بهويته الوطنية، إما دفاعاً عنها، أو تقليلاً من قدرها. لهذا تتوجه هذه الورقة إلى معرفة وعي الشباب بهويته الوطنية، تقديراً لأهمية هذه القضية، لما يتبعها من نتائج تتعلق بمستقبل مصر، إذ أن هذا الشباب هو عماد المستقبل. ولهذا جاءت أهمية دراسة السياق التاريخي المرتبط بالسياق الاجتماعي والثقافي والاقتصادي والسياسي والتراثي والديني الخاص بالمجتمع المصرى؛ للكشف عن مظاهرالوعى بالهوية الوطنية بشكل عام.

حيث اتضح للباحثة من خلال الإطلاع على التراث البحثي المتاح حول دراسة التحولات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى المجتمع المصري أن هذه الدراسات وإن كانت تناولت أنواعا مختلفة من الهويات مثل الهوية الثقافية والهوية السياسية، إلا أنها لم تتناول الوعي بالهوية الوطنية بشكل مباشر.

<u>وبناءًا على ذلك يتمثل هدف الورقة في</u>: التعرف على مظاهر التعبير عن الوعي بالهوية الوطنية، في ظل الظروف الخاصة والتحولات التي مر بها المجتمع المصري عبر المراحل التاريخية المختلفة، وفي ظل العولمة التي أصبحت واقعاً يعيشه المجتمع المصري، وفي ظل تنوع مصادر التأثير على الوعي بشكل عام والتي نشهدها في الإعلام الذي تأثر بثورة

الاتصالات ولم يعد هناك مصدر وحيد لتشكيل الوعي، وكذلك لتلك الاختلافات الجوهرية بين التعليم القومي والجامعات الأجنبية. ويتفرع من الهدف الرئيسي مجموعة من الأهداف الفرعية يمكن إجمالها على النحو التالي:

١- الكشف عن تغير التعبير عن الوعي بالهوية الوطنية في المجتمع المصري منذ محمد علي حتي الآن.
٢- التعرف على ما أسفرت عنه التحولات الاجتماعية و التاريخية في السياقات المختلفة بالمجتمع المصري، وتأثيرها علي الوعي بالهوية الوطنية.
٣- التعرف على طبيعة العلاقة بين النظام السياسي والثورات التي مر بها المجتمع المصري والوعي بالهوية الوطنية.

تبدأ الورقة بتحديد أهم المفاهيم التي تتعرض لها الدراسة، ثم تفرد قسما خاصاً لتناول **الخصوصية المصرية والوعي بالهوية**، وبعد ذلك تتناول العلاقة بين الفترات التاريخية المتوالية وبين تشكيل الوعي بالهوية الوطنية..

وقد تم اختيار تقسيم الدراسة إلى مراحل تاريخية تتميز كل مرحلة منها بخصائصها ويتشكل فيها الوعي تبعاً للظروف السياسية والاجتماعية والثقافية التي كانت تمر بالبلاد. هذا مع العلم أن هذا التقسيم ليس تقسيما تعسفيا، إذ أن كل مرحلة تتداخل مع المرحلة السابقة، وتشكل المرحلة اللاحقة، ولكن جاء هذا التقسيم ليسهل عملية التحليل والتمييز، وتوضيح تغير وتطور الوعي بالهوية المرتبط بكل لحظة تاريخية على حدة. وبناءً عليه تم تقسيم الورقة إلى الحقب التالية :

أولا: فترة محمد علي والوعي بالهوية.

ثانيا: ثورة ١٩١٩م والوعي الوطني.

ثالثا: ثورة ١٩٥٢م والوعي بالهوية القومية.

رابعا: حرب أكتوبر والهوية المصرية.

خامسا: عهد مبارك وتعدد الهويات.

سادسا: ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م وإحياء الوعي الوطني .

وتختتم الورقة بتحليل بنائي تاريخي للنتائج: يتم فيه توضيح العلاقة بين التحولات والتغيرات في السياقات المختلفة لبنية المجتمع المصري وتأثيرها على الوعي بالهوية الوطنية لدى الشباب.

وتعتمد الورقة في تحليلها على أسلوب التحليل السوسيوتاريخى للتغيرات السياسية والاجتماعية والثقافية التي مربها المجتمع المصري وتأثيرها على مظاهر الوعي بالهوية الوطنية، مع مراعاة توضيح المنطلقات الأيديولوجية لكل مرحلة تاريخية. والكشف عن أين يقع الوعي بالهوية الوطنية في سياق هويات أخرى تتنوع مع كل حقبة تاريخية على حدة.

المفاهيم الأساسية التي تعتمد عليها الدراسة :

مفهوم التحولات الاجتماعية: Social transformation

التحول الاجتماعي هو "تغير مفاجئ أو إعادة تشكيل نمط البناء الاجتماعي ويحدث عادة كمظهر من مظاهر أزمات التطور لحل الصراعات الخطيرة أو للتعجيل بظهور صراعات أو

أزمات أخرى. وإذا نشأت عن التفكك الاجتماعي ظروف تستلزم إعادة تنظيم العناصر القديمة فإن البنيان الجديد الطارئ يعتبر تحولا اجتماعيا ً(أحمد زكي بدوي،١٩٨٢م:٣٩١).

ويشير أيضا إلى التغير الاجتماعي الذي يعد خاصية أساسية تتميز بها الحياة الاجتماعية فهو سبيل استمراريتها ونموها ومن خلاله يتهيأ له التوائم مع الواقع من أجل تحقيق التوازن والاستقرار الاجتماعي. لذلك ركز علماء الاجتماع على أن التحولات الاجتماعية المفاجئة في حياة الشعوب تعتبر ولادات غير طبيعية ومشوهة إذا لم تصاحبها وتلازمها تحولات طبيعية في البنية الاقتصادية والثقافية والسياسية (Maton,2002:25)

وتتبنى الورقة المفهوم النظري التالي للتحولات الاجتماعية حيث ترى **"أنه تغير يحدث داخل الأبنية الاجتماعية المختلفة داخل المجتمع؛ نتيجة لعدة عوامل داخلية وخارجية كالثورات والحركات الاحتجاجية والتي ينجم عنها وعي لدى أفرادها يساهم في حدوث تغيرات على المستوى السياسي و الاقتصادي والاجتماعي والثقافي"**.

مفهوم الوعـــــــي: Consciousness

اختلف تعريف الوعي بإختلاف المنطلقات النظرية والأيديولوجية للعلماء، فقد عرفته دائرة المعارف البريطانية أنه " لغة الفهم وسلامة الإدراك، ويقصد هنا بالإدراك معرفة الفرد لنفسه، والمجتمع الذي يعيش فيه" (Longman dictionary, 1984: 310)

ويرى الباحثون في علم الاجتماع أن الوعي هو إدراك الفرد لنفسه كعضو في جماعة ويرى (هربرت ميد) أن الوعي ينشأ نتيجة التفاعل الاجتماعي، إذ تُمَكِن عملية التواصل من أن يعي الفرد لا غيره فقط أي الآخر، بل يرى نفسه أيضا من منظور الآخر، أي يقوم بدور الآخر إزاء نفسه (إبراهيم مدكور،١٩٧٥ م: ٦٤٤-٦٤٥)

وهناك أنواع للوعي: كالوعي الجمعي، يختلف شكل الوعي الجمعي ومضمونه تبعا لنمط التضامن السائد في المجتمع؛ حيث يذهب إميل دوركايم إلى أن الوعي الجمعي هو الذي يشمل المجتمع بأكمله والذي يستطيع أن يحقق تماسك المجتمع الانقسامي وترابطه وذلك تبعًا لدرجة التباين في المجتمع. (جوردون مارشال، ٢٠٠١م : ١٦٠٥)

يمثل الوعي في النظرية السوسيولوجية إشكالية؛ حيث تختلف الأطر النظرية في تعريفة و أيضا تختلف في العلاقة بين الوعي الاجتماعي والوجود الاجتماعي ومحدداته الموضوعية وأي منهما أسبق من الآخر. فقد عرف (ماركس) مفهوم الوعي الاجتماعي على أنه (مجموع الأفكار والنظريات و الآراء والمشاعر الاجتماعية والعادات والتقاليد التي توجد لدى الناس والتي تعكس واقعهم أي مجتمعهم الإنساني والطبيعة (سمير نعيم ،١٩٨٢م :٣١٨) .

وأيضا ميزت النظرية النقدية بين نوعين من الوعي (الوعي بالواقع والوعي الزائف):

١- الوعي بالواقع :

تقصد به النظرية النقدية قدرة العقل على إدراك الأمور إدراكًا حرًا مستمدًا من تجاربه الذاتية، ورؤيته للمصلحة التي تحقق إنسانيته وحريته ورغباته الحقيقية، وليست تلك المصالح المرتبطة بالحاجات الآنية الجزئية التي يروج لها النظام الرأسمالي الحديث. وتؤكد النظرية أن لدى الفرد القدرة على الوصول لهذا الوعي من خلال حركة دؤبة مستمرة للعقل في نقده للمجتمع على أسس علمية وفي ضوء المصالح المشتركة (Horkheimer,2002).

٢- الوعي الزائف :

يقصد به إدراك الفرد للمصلحة من خلال العقل الأداتي الذي يتعامل مع الأفراد والعلاقات كأدوات لتحقيق المصالح التي يروج لها النظام السائد (أحمد مجدي حجازي ،١٩٩٢م: ١٤٠ ـ١٤١). لذلك نجد أنه وعي تبريري له مصالح مباشرة، وهو وعي يفتقد الرؤية النقدية وله تصور جزئي ومشوه ومغلوط للواقع المحيط (عبد الباسط عبد المعطي،١٩٧٩ :١٦).

يتضح من التعريفات السابقة اتفاق العلماء علي أن الوعي هو الإدراك سواء إدراك الفرد لنفسه أو إدراكه للآخرين أو إدراكه للواقع، وفي ضوء هذا الإدراك يتولد الوعي. أي أن الإدراك مرحله سابقة للوعي. ولكن اختلف العلماء حول طريقة تكوين الوعي وذلك وفقا لاختلاف مدارسهم الفكرية ومنطلقاتهم الأيديولوجية. فهناك تيار يرى أن وعي الفرد يتكون وفقا لوجوده الاجتماعي وذلك تبعا للمدرسة الماركسية. ويرى البعض الآخر أن الوعي يتكون وفقا للخبرات والتجارب الذاتية مع إعمال العقل النقدي ويمثل ذلك علماء المدرسة النقدية. واتجاه آخر يرى أن وعي الفرد يتكون في ضوء المعتقدات والقيم التي يفرضها المجتمع كما في المدرسة الوظيفية كما قدمها إميل دوركايم؛ حيث يرى أن وعي الفرد يخضع للوعي الجمعي ويتكون في إطاره.

وتتبنى الورقة التعريف النظري التالي للوعي **" هو إدراك الفرد للواقع إدراكا مستمدا من واقعه الاجتماعي وقيمه وثقافته التي تنعكس على اتجاهاته وسلوكه وممارساته من خلال إعمال العقل والنقد لما يحصل عليه من معلومات ومعارف"**

مفهوم الهوية الوطنية:National Identity

تعني في جوهرها الشيء الذى يميز الدولة والأمة عن غيرها، أي خصوصيتها الحضارية والدينية واللغوية وهى في حقيقتها الدين واللغة والوطن والتاريخ والحضارة والتراث والتقاليد والقيم علاوة على الوعاء الجغرافي والسياسي والاقتصادي الذي يحوي ثقافة المجتمع، بحيث تصبح ثقافة وطنية خالصة أي بصمة يحملها الإنسان كعنوان لهوية وطنه وأمته (محمد الباهلى ، ٢٠٠٩ م : ٢٦).

وأيضا يقصد بها "إحساس الفرد الواعي بذاته من خلال تميزها وتفردها وشعوره بوجوده الفعلي كعضو له مجموعه من الأدوار والوظائف وأنه مقبول ومعترف به من طرف أفراد مجتمعه ". وكذلك شعوره بانتمائه إلى مجتمع له خصوصياته الثقافية والحضارية والاجتماعية والتاريخية واعتزازه به والفخر بالانتساب له (مزيان وردية ، ٢٠١٢م : ١٢) .

ويقصد بها أيضا الوعاء الوطني الكبير الذي يعترف ويوثق ويستوعب كل طوائف و مكونات المجتمع، ويخلق منه وبه كيانًا كبيرًا وقويًا يمثل الجميع ولا يقصي ولا يلغي أحدًا بل يقويه وينميه داخل الإطار الوطني العام الذي يقوي كل مكوناته. وأيضاً هي الدستور الضمني غير المكتوب، ولكنه متجسد في نفوس أبناء الوطن الواحد وهي اللغة والتراث التاريخي للمجتمع والقيم الحاكمة لذلك المجتمع بالإضافة إلي أهدافه ورؤيته المستقبلية (إبراهيم رمضان الديب،٢٠١٤م).

في إطار ما سبق تنطلق الورقة من التعريف النظري للهوية الوطنية التالي: "هي إدراك، قائم على الاعتزاز بالحضارة والتاريخ العريق للوطن والانتماء إليه انتماءً قائمًا على الوعي بالذات في ضوء ما يحمله الوطن من تاريخ حضاري، ومحاولة المساهمة في تقدمه ورفعته عن طريق البذل والعطاء بكل السبل الممكنة، انطلاقا من الوعي أن الوطن سكن وأمل وحياة وتاريخ ومستقبل (علياء رضاه رافع ٢٠١٦: ٢٢٥ـ٢٣٣)

المعالجة التاريخية للوعي بالهوية الوطنية:
أولا: الوعي بالهوية المصرية وحكم أسرة محمد علي:

مصر لها خصوصية حضارية ولهذا تعالج هذه الورقة موضوع الهوية المتواجد في عمق التاريخ، وذلك لتأصيل الرؤية وربطها بالحاضر. منذ أن قام نارمر(مينا) بتوحيد القطرين الشمالي والجنوبي لمصر في ٣١٠٠ق.م، وأصبح لمصر حكومة مركزية تحكم دولة مصرية تقع داخل الحدود الجغرافية المعروفة، وتركز المصريون في وادي النيل، نشأت هوية مصرية ترتبط بالأرض وبالنيل، وكانت الإدارة المركزية سمة فرضتها طبيعة هذه الدولة بعد أن أصبحت الزراعة هي النشاط الاقتصادي الرئيسي حيث كانت إدارة المياه مسئولية الفرعون. كانت نشأة الدولة المصرية نقلة نوعية في الوعي في التاريخ الإنساني (علياء رافع : ٢٠١٦: ٢٥٢ـ٢٥٤). إذ أصبح الشعب الذي عاش على هذه الأرض مرتبطاً بها ارتباطا يتعدى ارتباطه بالمنطقة الجغرافية التي يعيش فيها، ويتعدى العصبية الدموية، وجمع هذا الشعب لغة مشتركة وثقافة مشتركة، كانا يعطيان لهذا الشعب سمات مشتركة، وهو ما يمكن أن نصطلح على تسميته الشخصية الحضارية، ونتج عنها وعي الشعب بهذه الهوية بشكل تلقائي، إذ كان العالم بالنسبة له ينتهي عند الحدود الجغرافية لأرض مصر وأصبح وعيه بحضارته وأرضه جزءا لا يتجزء من تكوينه النفسي ووعيه بذاته . هذا الوعي جعل المصريين قادرين على استيعاب كل الموجات المتعاقبة من المهاجرين والغزاة الذين تعاقبوا عليها طوال تاريخها، فهي لا تفقد هويتها وإنما تتفاعل مع الثقافات الواردة وتطبعها بشخصيتها (، إسماعيل سراج الدين ،٢٠١٥م :٢١؛ علياء رضاه رافع ١٩٩٥، ميلاد حنا، ١٩٩٩م :١٤٢؛محمد نعمان ومجدي متولي، ١٩٩٧م : ٩).

إذا كان انتماء المصري قديمًا إلى الأرض قد ارتبط بوعيه عن هويته، فإن وعيه بهويته تنامي وترسخ عندما واجه غزوًا خارجيًا غاشمًا على يد الهكسوس في العصور الوسطى من الحقبة الفرعونية. لقد كان المصريون منتبهين إلى تميزهم الحضاري، فلم يسمحوا لهذه القوى أن تطمس معالم حضارتهم، وصمموا أن يخرجوا الهكسوس من البلاد، واستطاع أحمس أن يطرد الهكسوس، وطاردهم حتي سوريا عام ١٥٨٠ق.م مدافعاً عن مصر. وعاد لمصر وجهها المشرق مرة أخرى، ولم يكن اعتزاز المصري القديم بهويته عازلًا له عن التفاعل مع العالم الخارجي، بل بدأت مصر تتطلع إلى بناء علاقات مع الدول المجاورة شمالاً وجنوباً.(ناصرالأنصاري، ١٩٩٣م: ١٠ـ٤٢)

ولكن علي الرغم من الوعي بالهوية المصرية منذ القدم إلا أن هناك فترات تعرضت فيها مصر لعمليات تغريب عن أصالتها الحضارية، وغاب فيها الوعي بالهوية المصرية وخصوصيتها، ويرجع ذلك إلى توافد نظم حكم طاغية عملت على طمس الخصوصية الحضارية لمصر، وإخضاع مصر لثقافات غريبة عليها، ومحاولة طمس شخصيتها الحضارية، مثالا لذلك الاحتلال الروماني الذي امتد ست قرون متوالية، وحتى الفتح الإسلامي، ولن تتناول الدراسة هذه الأحقاب القديمة، ولكني ستكتفي بالتركيز على الفترة العثمانية تمهيداً لتحليل العصر الحديث الذى بدأ مع محمد علي.

وقعت مصر في قبضة العثمانيين بعد هزيمة المماليك في معركتي مرج دابق (١٥١٦) والريدانية (١٥١٧). ونظرًا لأن المصريين متدينون بطبعهم، فإنه تم تزييف وعيهم تحت شعارات دينية. لقد كانت الخلافة في ذلك الوقت رمزاً للهوية الإسلامية للدولة، وظل المصريون خاضعين سياسياً للخلافة العثمانية ومنفصلين عن تاريخهم الحضاري (عمرو عبد العزيز منير، ٢٠١٥م:١٣٤).

ومن الجدير بالذكر أنه قبيل الحملة الفرنسية وفي عام ١٧٩٥ قامت سلسلة من الانتفاضات الشعبية ضد حكم المماليك، التابع للخلافة العثمانية. وقد عبرت هذه الانتفاضات عن وعي وطني

ورغبة أن يشارك الشعب في منظومة الحكم. سميت هذه الانتفاضات بثورة "أهل مصر" والتي تزعمها علماء الأزهر ضد الحكام . ويصفها بعض المؤرخين بأنها أول ثورة تطالب بالدستور في التاريخ المصري الحديث (عمرو عبد العزيز منير، ٢٠١٥م :١٣٨-١٤٠)

كان لقدوم الحملة الفرنسية علي مصر آثار مهمة، فقد كانت بمثابة نقطة بدء هامة في الوعي الوطني بالنسبة للمصريين، لأن اهتمام الحملة بالحضارة المصرية، لفتت انتباه المصريين إلى تاريخهم الحضاري، كما أنها أسقطت شرعية حكم المماليك. ومن ناحية أخرى فإن تصميم المصريين على مقاومة الغزوالفرنسي أشعل الروح الوطنية (عمرو عبد العزيز منير،٢٠١٥م :١٥٥) :

اختلف الوضع السياسي بعد انسحاب الحملة الفرنسية من مصر عام ١٨٠١م، وتولى محمد علي باشا ولاية مصر باختيار ومباركة من شيوخ الأزهر وتأييد الشعب. ويجمع المؤرخون أن محمد علي بدأ عصرًا جديدًا قائمًا علي الاستفادة من الحضارة الأوربية في شتى المجالات، المدنية والعسكرية. أدرك محمد علي أن كل حركة إصلاحية ترمى إلي تكوين أمة وإيجاد حكومة أهلية لن تقوى وتستمر إلا إذا امتدت أصولها من نفس الشعب، فأرسل بعثات من المصريين إلى الخارج وجاء من أوروبا بالمعلمين وفتح المدارس ونشر التعليم العام. فنشطت العقول وذهب عصر الخرافات وتنبهت الحاسة القومية والوطنية لدى المصريين، مما أدى ذلك إلى نقلة نوعية في الوعي الوطني لدى المصريين بفضل هذه البعثات (محمد صبرى ، ١٩٢٦م : ٥٤ - ٥٧).

كان الإحساس "بالمصرية" خلال فترة محمد علي يتزايد بصورة تدريجية. لقد كان هذا الجهاز بشقيه العسكري والمدني هو النواة التي تكونت من حولها بنية الجماعة المصرية ككيان متميز بخصائصة الوطنية. ومن هنا قد ظهرت عبارة "التمصير" لوصف الإجراءات التحديثية التي كان محمد علي يتخذها في بناء الجيش والجهاز الإداري الحكومي. والتمصير بهذا المعنى هو جعل الشئ مصريا. وهو يعني سلخها وفصلها من الانتماء للرابطة السياسية الإسلامية التي كانت تجمعها بالدولة العثمانية ورد كيانها الجمعي إلى فكرة الانتماء الوطني لمصر. لذلك يمكن القول أن الجيش الذي أسسه محمد علي لم يكن فقط فكرة مصرية. بل كان النواة التي نشأت من حولها فكرة الوطنية المصرية (عبدالجواد يسن : ٥٨ - ٦٣).

بدأت معاني النهضة الحضارية والوطنية تدب أرجاء مصر بعد أن جاء محمد علي (١٨٠٥ م -١٨٤٠ م)؛ فقد كانت هذه المرحلة ايذانًا ببدء مرحلة تجديد مشروع مصر القومي الكبير، ألا وهو قيادة الشرق العربى لتحقيق نهضة شاملة. وبرز رفاعة الطهطاوي آنذاك رائداً لحركة التنوير الحداثية في مصر التي تعتمد على الجمع بين الأصالة والمعاصرة؛ حيث كان الهدف الرئيسي في هذه النهضة الحضارية لمصر تكوين جبهة وطنية مصرية متحدة. وقد بدأ رفاعة حركة تحديث ليبرالية، اهتمت بعرض وشرح أسس النهضة التي من شأنها أن تساعد مصر على التقدم والازدهار ولم يستهدف هذا الاتجاه إلغاء شخصية مصر الحضارية، حيث أصبح الإسلام رافداً أساسيًا في كيان هذه الشخصية، من دون إهمال النسيج الوطني للأقباط في مصر. بل فتح هذا الاتجاه الأبواب أمام مجددين في الفكر الإسلامي، خرجوا من عباءة التقليد إلى رحاب الإبداع الفكري والفقهي، وكان محمد عبده شخصية بارزة في هذا الاتجاه. لم يؤثر تشعب الاتجاهات علي الاهتمام بنهضة مصر بوصفها قضية محورية، بل كان هناك علو في الحس الوطني منطلقاً من الوعى الدائم بالمصرية (أنور عبد الملك ، ٢٠٠٩ م : ٥٨٤ : ٥٨٩).

وللأسف تدهورت الأمور السياسية في مصر مع نهايات القرن التاسع، وخاصة أثناء حكم الخديوي توفيق، فكانت الثورة العرابية تعبيراً عن الروح الوطنية التي دافعت عن وجودها؛ حيث ثار عرابي وزملاؤه على التمييز بين الضباط الأتراك وبين الضباط المصريين الذين تم اعتقالهم،

وأثار هذا الاعتقال حفيظة زملائهم من الضباط؛ ولم يهدأ لهم بال إلى أن خرجوا من اعتقالهم. وكانت هذه الحادثة بداية لأحداث متوالية تصاعد فيه المد الوطني بين المصريين، الذين شعروا أنهم مستعبدون في وطنهم.

طرحت الثورة العرابية أفكاراً جديدة حول الحرية، وحق الإنسان في أن يكتسب قيمته من عمله. وقد كان للشباب دور في مرحلة الإعداد للثورة والتمهيد لها ونشر الوعى بمتطلباتها وخلق الوعى بأهمية الوطن وأهداف الثورة (يحيي مرسى عيد بدر ، ١٩٩٨م : ٢٥٥، أنورعبد الملك ،٢٠٠٩ : ٥٨٥ – ٥٨٦) وعلى الرغم من أن الثورة العرابية كانت تعبيراً عن وعي وطني واضح، إلا أنها لم تحقق أهدافها، وانتهي الأمر بالتدخل الأجنبي وهزيمة الجيش المصري أمام القوات الإنجليزية عام ١٨٨٢م. ومع بدايات القرن العشرين تنامت الحركة الوطنية ضد الاحتلال الإنجليزي، وظهرت شخصيات وطنية بارزة فضحت عنف وفظاظة الاحتلال، ومن أهم هذه الشخصيات برز مصطفي كامل معبرًا عن ضمير الشعب المصري كله.

كانت لجهود مصطفى كامل دور فعال في إلهاب الروح الوطنية؛ فقد استطاع أن يجمع بين الحس والوعي الوطني من جانب والفكر السياسي من جانب آخر. وقد كانت مقاومة الاحتلال الأجنبي تعبيراً عن الروح الوطنية، ولكن لم تكن الخصوصية المصرية واضحة وضوحًا كاملًا بالنسبة لزعماء الحركة الوطنية، فقد كان هناك انجذاب أو تفضيل لتبعية مصر للخلافة العثمانية لتعبيرها عن الانتماء إلى الدين الإسلامي.

وإبان قيام الحرب العالمية الأولى، أعلن الاحتلال الإنجليزي انفصال مصر نهائياً عن الدولة العثمانية، وإعلان الحماية البريطانية عليها، واتخاذ مصر قاعدة عسكرية لصالحهم. وما كادت الحرب تضع أوزارها، فإذا بالحركة الوطنية ضد الإنجليز تتصاعد، ويطالب المصريون بجلاء القوات الإنجليزية، واستقلال البلاد، وكان هذا نذيراً بقيام ثورة ١٩١٩ التي نما فيها الوعي بالهوية المصرية بصورة واضحة المعالم (عمرو عبد العزيز منير، ٢٠١٥م: ٢٢٦-٢٢٧).

ثانيا: ثورة ١٩١٩م والوعي الوطني:

عبرت ثورة ١٩١٩م عن الوعي بالهوية المصرية في إطار وعي الشعب المصري بمواطنته وتاريخه وخصوصيته الحضارية، وذلك في الوقت الذي حاولت "الخلافة العثمانية " طمس معالم هذه الخصوصية. معتمدة في ذلك علي الدين كوسيلة لتزييف الوعي لدى بعض المصريين وجعل هويتهم وطنية إسلامية من أجل خدمة أهدافها السياسية وخدمة الباب العالي بالأستانة (علياء رضاه رافع،١٩٩٦م:٤٣).

بعد قيام الحرب العالمية الأولى، نشأت عصبة الأمم المتحدة، أملًا في تجنب حروب مستقبلية، وحل المشاكل بين الدول بالمفاوضات السليمة، وأرست نظاماً عالمياً جديداً، وتقرر عقد مؤتمر للصلح في باريس في يونيو ١٩١٩م، وتشكل وفد من سعد زغلول وعدد من المصريين ليمثلوا مصر في هذا المؤتمر، ولكن قوات الاحتلال نفت سعد زعلول وزملاءه؛ فاشتعلت ثورة عارمة في مصر من أقصاها إلى أقصاها، حتى أفرجت القوات البريطانية عن سعد وزملائه (عبد الرحمن الرافعي،١٩٨٧م:١٨٩- ١٩٢)

عكست ثورة ١٩١٩ قوة الإرادة المصرية والوطنية متمثلة في إدراك المصريين بأنهم قادرون علي المطالبة باستقلالهم. وعكست أيضا الوعي الجمعي لدى المصريين. فقد كان رائدها سعد زغلول مثلا حيا للمصري القادر على الوقوف بصلابة وصمود ضد وأمام أكبر دولة في

ذلك الوقت وهي إنجلترا، مطالبا بحق الاستقلال ورافضا الخضوع للتلاعب والضغوط التي تتيح للقوة الأجنبية السيطرة تحت شعارات براقه. وظهور هذه القيادة في ذلك الوقت عبر عن وعي جمعي عبر عنه الشعب المصري كله. وقد أحرزت لنا ثورة ١٩١٩م روادًا متطلعين لبناء مصر الحديثة أمثال طه حسين، وعباس محمود العقاد، وسلامة موسى، وأحمد لطفى السيد، ومحمد حسين هيكل وغيرهم من المفكرين الذين عبروا عن هوية وطنيه خالصة (علياء رضاه رافع، ١٩٩٦ م :ص٤٤ ص٤٥)

لاشك أن ثورة ١٩١٩ م عندما رفعت شعار تعانق الهلال مع الصليب، فإن ذلك كان انعكاسًا صادقًا لوعي المصريين بهويتهم الحضارية، حيث ضعوا الدين جانباً عندما رفعوا شعار "الدين لله والوطن للجميع"، تجلت هنا الشخصية المصرية التي تخلصت من إغفال الهوية المصرية الجامعة للمسيحيين والمسلمين. هذا الوعى هو الروح الحقيقية التي تؤمن بالحرية وترفض القهر تحت أى مسمى؛ حيث استعاد الشعب وعيه بهويته التاريخية، واتضح لديه رؤية الأصل التاريخي الواحد للمسيحيين والمسلمين داخل الوطن الواحد. حيث لا يستقيم مفهوم المواطنة دون أن تطبق الحقوق والواجبات علي المواطنين بصفة عامة بصرف النظر عن الدين (محمد نعمان جلال، مجدى المتولى،١٩٩٧م : ١٤٢) نتج عن هذه الثورة إلغاء البريطانيين الأحكام العرفية، ووعد المصريين بالحصول على الاستقلال بعد ثلاث سنوات مقابل إبقاء قوات بريطانية في مصر.

ثالثا:ثورة ١٩٥٢م والوعي بالهوية القومية:

إذا كانت ثورة ١٩١٩م شكلت تحولا في الوعي عن الهوية الوطنية، فإن ثورة ١٩٥٢ أشعلت الروح الوطنية ولكن من خلال الانتماء إلى العروبة، وفي الفترة بين الثورتين، كانت هناك أحداث متوالية مهدت لحدوث ثورة غيرت من البناء الطبقي في مصر، وكان لها آثار ممتدة حتى يومنا هذا. لقد نجحت ثورة ١٩١٩ في تحقيق عدد من المكاسب السياسية من أهمها إلغاء الحماية البريطانية بموجب تصريح ٢٨ فبراير ١٩٢٢، مع إلغاء التبعية للخلافة العثمانية، وتم تأكيد أن مصر دولة مستقلة ذات سيادة. ومع ذلك فلم يحقق هذا التصريح السيادة الكاملة نتيجة لما أعطاه التصريح من حقوق للإمبراطورية البريطانية في التدخل في بعض الشئون الداخلية، مثل تأمين مواصلاتها، وحماية المصالح الأجنبية والأقليات، والدفاع عن الدولة المصرية ضد أي اعتداء أجنبي، وهو ما يوجب استمرار وجود سكنات عسكرية بريطانية داخل الدولة المصرية.

ولم يكن المجتمع المصري في هذا الوقت مستعدًا لرؤية مصر بمعزل عن الخلافة الإسلامية، وهو ما مهد بعد ذلك لنشأة حركة دينية سياسية هي حركة الإخوان المسلمين. وأما على أرض الواقع، فإن مصر قد تحررت من التبعية للخلافة الإسلامية تماما بعد قيام ثورة كمال أتاتورك عام ١٩٢٣ وإنهاء نظام الخلافة. أما من الناحية السياسية، فقد دخلت مصر في عصر الحداثة وأصبح كتابة الدستور جزءاً لا يتجزأ من معالم الدولة المستقلة، وصدر دستور ١٩٢٣م بالفعل، تعبيراً عن الهوية المصرية (طارق البشري،١٩٨٧م:٩)

كان استمرار تواجد الثكنات العسكرية البريطانية مؤرقا للشعب عامة، وتصاعدت الرغبة في تحرير الوطن من كل القوى الأجنبية، وتوالت الأحداث والمفاوضات بعد وفاة الملك فؤاد وتولي إبنه الملك فاروق العرش، وظلت الكتلة الرئيسية تسعى من أجل الجلاء العسكري البريطاني الكامل من مصر، وبعد أن تولى حزب الوفد رئاسة الحكومة، شرع في التفاوض بشأن

جلاء القوات البريطانية، ولكن بريطانيا أصرت أن تكون المفاوضات مع كل الأحزاب، وبالفعل شارك في المفاوضات أغلب الأحزاب فيما عدا الحزب الوطني، وتم التوقيع على المعاهدة في أغسطس عام١٩٣٦م، ولكن بنود هذه المعاهدة لم تغير من الوضع كثيراً، إذ ظلت القوات العسكرية البريطانية متواجدة على أرض مصرفي منطقة القناه، وحرمت هذه المعاهدة الدولة المصرية من السيادة الكاملة على أراضيها، وأتاحت لبريطانيا التدخل واستخدام الأرض المصرية في حال قيام حرب ضد بريطانيا. ولم يرض الشعب بهذه المعاهدة الذي وجد فيه اجحافًا، وما لبث أن ظهرت آثارها أثناء الحرب العالمية الثانية، إذ استخدمت الأرض المصرية قاعدة لجيوش الحلفاء في الهجوم على ألمانيا ودول المحور، و زادت هيمنة بريطانيا علي البلاد سياسيا واقتصاديا. وأخضعت السياسات المالية والاقتصادية لخدمة احتياجات الإمبراطورية المحاربة ولخدمة جيوشها.

تصاعدت معاناة الشعب المصري أثناء الحرب العالمية الثانية حتى انتهاء الحرب عام ١٩٤٥م وتم طرح مطلب الجلاء على الساحة السياسية . وقد فشلت جميع المفاوضات التي طالبت باستقلال مصر وأيضا محاولات اللجوء إلى التحكيم الدولي قد فشلت أيضا، وتم إلغاء المعاهدة عام ١٩٥٠م. وفي عام ١٩٤٨م، أي بعد ثلاث سنوات من انتهاء الحرب العالمية الثانية، اتجهت الحركة الصهيونية إلى إنشاء وطن قومي لليهود على أرض فلسطين، ونجحت في إعلان دولة إسرائيل في ١٥مايو ١٩٤٨م بعد حرب مع الجيوش العربية، لم تكن متكافئة نتيجة لأسلحة فاسدة تم توريدها للجيوش العربية، حيث كان الجيش المصري يمثل القوة العسكرية الرئيسية. لقد كان لفساد الحكم في ذلك الوقت الذي فجرته حرب ١٩٤٨ أثره على تصميم شباب الجيش على التخطيط لثورة تقلب نظام الحكم. واتجهت ميادين الحركة الوطنية إلى الاهتمام بالقضية الفلسطينية بوصفها مكونا من مكونات الحركة الوطنية في مصر (طارق البشري،١٩٨٧م، ٥٥ ـ ٥٩).

زاد الإحساس الوطني لدى المصريين. وقد نما هذا الشعور الوطني داخل الجيش حيث كان أحد القطاعات المتأثرة بما يجري في البلاد من فساد، وتعاظمت الرغبة في إنهاء هذا الحال بعد حرب فلسطين وقد ترجم الجيش هذا الشعور الوطني إلى كيان منظم أطلق على نفسه " الضباط الأحرار" ومع غضون بضع سنين تمكن هذا التنظيم من ضم أنصار جدد داخل صفوف الجيش معبرين عن رغبة فى استقلال البلاد والقضاء على الحكم الفاسد متمثلاً في الملك فاروق وإنهاء الاحتلال البريطاني (ناصر الانصاري، ١٩٩٨ : ٣٤٨).

بقيام ثورة ١٩٥٢م بدأ عهد جديد؛ حيث حكم مصر أحد أبنائها مرةً أخرى، وأصبح جمال عبد الناصر رمزًا للكرامة الوطنية، حيث وقف بشجاعة في وجه القوى الاستعمارية، وألهب المشاعر الوطنية. وحدث تحول جذري في البناء الاجتماعي بعد قوانين الإصلاح الزراعي، ثم التأميمات الواسعة بعد ذلك، وتم القضاء على أصحاب الملكيات الزراعية الكبيرة، وتم إعادة توزيع الأرض الزراعية على الفلاحين. وكانت مجانية التعليم خطوة جسورة نحو استيعاب أعداد متزايدة من الطبقات الدنيا الذين دخلوا الجامعات، وارتقوا بعد ذلك في مختلف الوظائف العليا. كان انحياز جمال عبد الناصر إلى الفقراء واهتمامه بالطبقة الوسطى جسرًا قوياً تواصل به مع المصريين.

لقد كان أمرًاً مسلمًاً به في ذلك الوقت أن العرب قومٌ يجمعهم التاريخ واللغة والعادات والتقاليد والإيمان، وأن الوحدة العربية حتمية تاريخية، ستتحقق عندما يتم القضاء على الدولة الإسرائيلية التي وضعها الاستعمار شوكة في ظهر الأمة. كان يبدو هذا الاتجاه حقيقة، لا تقبل المناقشة ولا جدال فيها. أصبح عبد الناصر بالنسبة إلى البلاد العربية أيضًا رمزًا للمخلِّص البطل الذي سيعيد أمجاد العرب. ارتبط الوعي بالهوية الوطنية مع الوعي القومي في ذلك الوقت، وغابت خصوصية الحضارة المصرية في خضم تنامي الشعور القومي بالعروبة. حتى أنه مع قيام الوحدة مع سوريا اختفت كلمة مصر، وحل محلها "الجمهورية العربية المتحدة" اسماً للبلد، إلى أن أعاد السادات كلمة مصر مرة أخري (علياء رضاه رافع،٢٠١٦م:١٨٦).

يمكن القول أنه لم يكن هناك تناقض بين الوعي بالهوية القومية من منطلق العروبة، وبين الوعي بالهوية الوطنية من منطلق الخصوصية الحضارية، ولكن كانت الغلبة للقومية العربية وبعد هزيمة يونيو ١٩٦٧، إنهار الحلم العربي الذي كان يرنو إلى قيام وحدة عربية، وأعقب الهزيمة فراغ أيديولوجي مع أزمة هوية (على فهمى، ١٩٩٣م: ٣٠-٤٠)

رابعا: حرب أكتوبر والهوية المصرية:

يختلف الإطار العام لدى السادات حول سياسة مصرو أوضاعها الداخلية والخارجية، عن تلك التي رآها عبد الناصر، فبينما أخضع عبد الناصر سياسة واهتمامات مصر للقضايا والاهتمامات العربية أو رأى أن مصالح مصر ترتبط بشكل عضوي وتخدم بشكل أكثر في سياقها العربي، فإن السادات قدر أن الاهتمامات المصرية تتقدم وتعلو على الاهتمامات العربية، وأراد ألا تجعل خلافاته تحد من حركة السياسة الخارجية المصرية وبشكل خاص أحب أن يأخذ اتجاهًا مختلفا تجاه النزاع مع إسرائيل. وعلى الرغم من أن سياسة السادات داخليا وخارجيا قد تطورت بشكل اختلف جذريا مع سياسات عبد الناصر، إلا أن كلا منهما قد بدأ عهده وهو يواجه مشكلة سيادة مصر على أراضيها فمثلما كان اهتمام عبد الناصر وحلمه هو تحرير مصر من الاحتلال البريطاني كانت القضية الرئيسية التي واجهت السادات هي تحرير سيناء من الاحتلال الإسرائيلي، ومثلما دعم إنهاء الاحتلال البريطاني لمصر من شرعية النظام وعبد الناصر بوجه خاص، استمد السادات شرعيته عندما خاض حرب أكتوبر وحرر سيناء، واستعاد اسم مصر وهيبتها الأمر الذي ربما كان له واقع ملموس في حياة المصريين، أوقع من إنهاء الاحتلال البريطاني (موقع المركز المصري للشئون الخارجية،٢٠١٠م).

ونظراً لتولي الرئيس الراحل أنور السادات مسئولياته في مناخ ما بعد النكسة وما صحبها من فراغ أيديولوجي، فإنه أفرد ركنًا كبيرًا من خطابه ومن ممارساته للدين والإيمان، ولجأ السادات للقوى الإسلامية طلبا لعونهم في مواجهة القوى الناصرية والوطنية واليسارية بالذات في الجامعات والصحافة والإعلام. وعمل على إضعاف اليسار وإحلال الدين بدلا من التفكير القومي وتدريجيا بدأ الحس العربي الوطني يتضاءل (علياء رافع، ٢٠١٦م:١٨٩)

تستمر الأحداث وتضع الدولة كل امكاناتها ومواردها لحرب ١٩٧٣م، وعبور الجيش المصرى. عكست حرب أكتوبر ١٩٧٣م عبقرية المصري التي تعد سمة أساسية من سمات شخصيته الوطنية، فحدوث الانتصار كان مفاجأة غير متوقعة، عكست استخدام العقل والوعي قبل القوة، والروح قبل السلاح ليس ذلك فقط بل عبور القناة نفسه يعكس عناصر التكامل والوحدة والتناغم بين العلم والتخطيط والروح الوطنية العالية؛ فالكل يعمل في إطار حركة متناسقة مع

الآخر. يجمعهم هدف واحد وتوحدهم روح واحدة، عاكسين وعيهم بالقضية المصرية وتعبيرهم عن وطنيتهم. لا يخافون الاستشهاد بل مدافعين حاملين راية النصر هكذا تحقق النصر من خلال إيمانهم وحبهم لوطنهم مؤكدين ولاءهم له (علياء رضاه رافع ،١٩٩٦م : ٥١).

ارتفع الوعي بالهوية الوطنية وقيمة الوطن في حرب أكتوبر ١٩٧٣م، مما أكسب السادات شعبية كبيرة أعادت للمصريين أملهم في مستقبل أفضل. لقد أفصح المصريون في هذا الحين عن قوة عزيمتهم التي تظهر دائما كلما أتيحت لهم الفرصة للتعبير عن ذاتهم فيتعرفوا عليها في تلك اللحظات الهامة (علياء رافع ،٢٠١٦م:١٨٩- ١٩٠).

على الرغم من انتصار ٦ أكتوبر ١٩٧٣م، إلا أن التهديد الخارجي من العدو الصهيوني كان مازال قائمًا، كانت هناك مشكلة الثغرة على الحدود مع إسرائيل، وتمكن السادات من عقد اتفاقيات فض الاشتباك الأولى والثانية ١٩٧٤م، ١٩٧٥م واستعادت مصر جزءًا من أراضيها، ولكن لم يكن الموقف آمنا تماما. نضيف إلى هذا الأزمات الاقتصادية الداخلية، التي دعت السادات إلى تبني ما أطلق عليه سياسة الانفتاح، ففتحت الأبواب أمام العمالة المصرية للهجرة إلى الخارج، خاصة إلى البلاد البترودولارية، وحتى الفلاح الذي كان متمسكا بالأرض لا يخرج منها أبدًا، هاجر إلى العراق بحثا عن تحسين حياته. وكان السادات يرى أنه يجب أن يتخلص من التهديد الخارجي، حتى تتوجه جهود الدولة إلى التنمية الداخلية، وهوما جعله يعلن استعداده إلي الذهاب إلى أقصى بقاع الأرض حتى لا تزهق أرواح في حروب جديدة. وكانت الدهشة التي أصابت الشعب المصري والعالم دهشة بالغة. وذهب السادات بالفعل إلى الكنسيت الإسرائيلي في نوفمبر عام ١٩٧٧م، ثم تم توقيع معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩م(علياء رافع،٢٠١٦م:١٩٠؛ محمد عبد العليم، ٢٠١٣م).

لم يكن من السهل أن يصبح عدو الأمس صديق اليوم، فكانت هناك بلبلة في الشارع السياسي، واتخذ الإسلام السياسي اتجاهًا معاديًا لسياسات السادات مع إسرائيل، ولكن مع تدفق المعونة الأمريكية، وخلق مجالات للعمل في مختلف القطاعات، بدأ الاعتراض الظاهر يأخذ حجما متصاغرًا. وانفصلت مصر عن محيطها العربي، بعد مقاطعة الدول العربية لها، معلنة رفضها للسلام مع إسرائيل. لم يكن من السهل التخلص من الانتماء إلى العروبة، حيث امتزجت العروبة بالوطنية دون تناقض، ولهذا حدث بلبلة في الوعي بالهوية، التي كانت بالفعل تتأرجح بين الإسلام والعروبة، وتخلق تناقضات لم يكن هناك داع لها. وجاءت سياسة الانفتاح لتزيد الطين بله.

إذا كانت السياسة الاقتصادية في عهد جمال عبد الناصر تعتمد على تشجيع الصناعات الوطنية، والأعمال المنتجة، وتحرير الاقتصاد من الاعتماد على السوق العالمية، فإن سياسة السادات بعد حرب عام ١٩٧٣ وبعد أن أسس شرعيته الشعبية، أخذت منعطفاً آخر، حيث بدأ يدعو إلى الانفتاح على السوق العالمي، وإعلان سياسة الخصخصة، وكان هذا محاولة منه للخروج من انهيار القطاع العام، وعدم قدرته على مجاراة التنمية المطلوبة (أحمد بيلي، ٢٠٠٧م:٣١٨ ،على ليلة،١٩٩٣م: ٦١- ٦٣)

تعد سياسة الانفتاح الاقتصادي التي كرسها أنور السادات في فترة حكمه، والفترة التي تلت فترة حكمه، وما تبعه من التوجه نحو الغرب الأمريكي عاملا من عوامل التغريب عن الهوية

الوطنية. ذلك أن النظرة إلى الآخر الصهيوني، والآخر الأمريكي تغيرت. فمن ناحية وعلي المستوي الرسمي تحددت صورة لهذا الآخر تنم عن إعجاب شديد بالنموذج الغربي بعامة. وفى ضوء التصريحات والممارسات التي اتخذتها القيادة السياسية آنذاك، تم الانفتاح على الغرب، والاعتماد عليه كإطار مرجعي على مستوى الفكر والممارسة، بل كان الخطاب السياسي يرسم استراتيجيته كي تصبح مصر جزءا من الغرب، ومن الناحية الواقعية تم تشجيع المؤسسات التعليمية الأجنبية، والإعلاء من قيمة استخدامات اللغات الأجنبية والتقليل من شأن اللغة العربية في التعامل. وأصبحت الوظائف المرموقة لخريجي الجامعات الأجنبية، بينما تضاءلت فرصة خريجي الجامعات القومية من فرص العمل الطيبة. وأثر ذلك بشكل واضح على الفكر والقيم وبالتالي انعكس ذلك على الوعى بالهوية الوطنية لدى أبناء المجتمع بشكل عام. بناءً علي ما سبق، ابتعد جزء كبير من الشباب المصري في هذه الفترة عن ثقافة وتراث وطنه، واقترب من النموذج الغربي الرأسمالي، وأصبح مقبلا على ثقافة الغرب والانبهار بالنموذج الغربي. وعلى صعيد آخر ظهرت فئة تدعو إلى التمسك بالحضارة الإسلامية حفاظا على الهوية، وبين هذين الاستقطابين وما بينهما من أطياف حدث تباين في الثقافات، وتواجدت تناقضات حادة داخل المجتمع المصري، أخذت تنمو تباعًا، مما أثر على الوعي بالهوية لدى أبناء المجتمع المصري. (همت بسيوني، ٢٠١٣م: ٢٢٦).

أخذت موجة التغريب أشكالا شتى تبدأ من الملبس والموسيقى، والفنون واللافتات، والمسميات الأجنبية على محلاتنا التجارية والخدمية. ولَّد ذلك إحساسًا أن أصالتنا الحضارية تتشوه تدريجيًا، ويغذى هذا الإحساس غياب أي محاولة جادة من جانب أجهزة الإعلام والثقافة والتعليم لتقديم وترسيخ القيم الوطنية والأصالة الحضارية، وظهرت ممارسات حياتية تكشف عن تغيير منظومة القيم في تجاه الغرب أو تجاه الدول البترودولارية. (كمال التابعي،١٩٩٦: ٣٨٢) ونتيجة للاختلاط الثقافي في بلاد المهجر، تأثر الشباب بالاتجاهات السلفية، وعادات وتقاليد تختلف عما نشأ عليه. وهذا التشدد السلفي يختلف جملة وتفصيلاً عن التدين المصري السمح القائم على الفطرة والوجدان.

إذا أضفنا إلى هذا أن قيم الاستهلاك والمباهاة بالماديات قد تغلبت على القيم المصرية التي تدعو إلى البساطة والقناعة والرضا، أدركنا مدى الصدع الذي أصاب الشخصية المصرية. كان للاتجاهات الاستهلاكية مع دخول التيار السلفي الرجعى تأثير واضح على وجدان المصريين، وإبعادهم عن قيمة الوطن والانتماء إليه. وإذا كان المصريون قبل السلام مع إسرائيل قادرين على الحلم بتحرير الأرض، وبنائه وتنميته، فإن السلام مع إسرائيل، وإعلاء القيم المادية، وعدم وجود مشروع قومي، كان لها تأثير سلبي على الشباب وساد جو من الإحباط واليأس، وهكذا أدى السياق الاقتصادي والسياسي إلى غياب الوعي الوطني والسلبية في المشاركة السياسية (أنور عبد الملك ، ٢٠٠٩م: ٣٤، ٣٦). ونمت القيم الفردية وإعلاء المصلحة الخاصة على المصلحة العامة (كمال التابعى، ١٩٩٦م: ٣٥٤)

تعتبر التحولات الاجتماعية السريعة، والمتتابعة التي مر بها المجتمع من العوامل التي أضعفت بنية الثقافة، فقد تحول المجتمع المصري من الأيديولوجيا الليبرالية قبل عام ١٩٥٢م، إلى الايديولوجيا القومية في الفترة من ١٩٥٢ م إلى ١٩٦٠م، التي لحق بها وامتزج معها الاتجاه الاشتراكي، وبعد قدوم السادات في السبعينيات ظهر تجاه الإسلام السياسي الذي كان قد اختفى تحت الرماد أثناء الحقبة الناصرية، مع سياسة اقتصادية في خط مضاد للاتجاه الاشتراكي الناصري، وهي ما أطلق عليها سياسة "الانفتاح"، التي أدت إلى نمو سريع لرأس المال الطفيلي غير المنتج، من ناحية، وإلى هجرة واسعة إلى البلاد البترودولارية من ناحية أخرى، وعودتها بأفكار وقيم غريبة على المجتمع المصري. أدى ذلك إلى إضعاف المنظومات الثقافية والأخلاقية

للمجتمع. وهو الأمر الذي أدى إلى انتشار ما يمكن أن يسمى بحالة "الأنومي" التي تعني غياب القيم، والمعايير الضابطة لسلوكيات البشر في مختلف مجالات المجتمع، مما أثر على الوعي بالهوية الوطنية لدى أبناء المجتمع وخاصة الشباب، وإصابته بحالة عامة من الإغتراب. (على ليلة ، ٢٠١٥م: ٣٩،علياء رضاه رافع ٢٠١٦: ١٨٩)

والنتيجة المستخلصة من هذه الفترة هي أن التغير الجذري الذي حدث في السبعينيات، وحتى مقتل السادات أدى إلى تحول كبير في منظومة القيم والنسق الثقافي للمجتمع المصري، وضعفت قيمة الارتباط بالوطن الذي لم يوفر للشباب بشكل خاص وللمواطنين بشكل عام الفرص الحياتية التي تؤمن لهم مستقبلهم، بعبارة أخرى كانت عوامل الطرد أقوى من عوامل الجذب، وعوامل الإحباط أقوى من دوافع الأمل، هذا إلى جانب غلبة القيم المادية على العلاقات الإنسانية داخل الأسرة المصرية، حيث سخر الأباء حياتهم لكسب المال خارج الوطن، ليلبوا احتياجات أبنائهم، ولم يعد لديهم وقت لتوثيق العلاقات الأسرية الحميمية على ما ألفت الأسر المصرية، فالعواطف والروابط والعلاقات تشيأت، وأصبحت ذات طبيعة مادية(على ليلة، ٢٠٠٣م: ٣٠ـ ٣٣).

خامسا: عهد مبارك وتعدد الهويات:

كان الهدف الأساسي للرئيس المخلوع مبارك عندما تولى الحكم في أكتوبر ١٩٨١ استعادة الاستقرار السياسي بعد أن تصاعدت موجات الإسلام السياسي، والتي تآمرت لقتل الرئيس السادات. وفي الوقت ذاته كان يحاول أن يجمع الشمل بين الاتجاهات المختلفة التي وقف منها السادات موقفا متعسفاً، عندما تم القبض على عدد كبير من الشخصيات العامة تحت زعم إنهاء حالة الفتنة الطائفية. فكان أول قرار اتخذه مبارك هو الإفراج عن كل المعتقلين في قضايا الرأي، واستقبلهم في قصر الرئاسة، مما أثلج صدور المصريين، واستبشروا بعهد جديد، يمكن فيه إصلاح ما أفسدته الظروف في عصر السادات. (موقع المركز المصري للشئون الخارجية،٢٠١٠م).

واجهت السياسات التي تبناها حسني مبارك مصاعب كثيرة، فعلى الصعيد الداخلي لم يتمكن من حل معضلات متأصلة مثل البيروقراطية الواسعة الانتشار والبطالة العالية والتضخم المتفاقم والتنامي السكاني السريع، وتعدد الهويات وتنوعها، خاصة مع نمو وسائل الاتصال وتصاغر العالم من خلال العولمة التي كسرت الحواجز الجغرافية، وأنشأت عوالم افتراضية، أصبحت مصادر لتكوين الوعي. وما زاد الأمر سوءًا غياب دور قنوات ومصادر تشكيل الوعي الوطني، بل تزييف الوعي إما في اتجاه التطرف الديني خدمة لأهداف الإسلام السياسي، أو في اتجاه الثقافة الاستهلاكية، لمنفعة الرأسمال الطفيلي. نضف إلى هذا فساد الجهاز الإداري.

بالإضافة إلى التأثير السلبي للعولمة على الوعي بالهوية الوطنية، فإنها أدت إلى انحسار سيادة الدولة؛ حيث أدى ظهور الشركات الضخمة التي تخترق الأسواق المحلية إلى التعدي على الخصوصيات الثقافية وتغييرها، ولم يعد ممكناً الانعزال عن الحركة العالمية في انتقال المال والاستثمارات والقوى العاملة عبر البلاد.

أثرت هذه التغيرات على المواطنة والانتماء للوطن، خاصة مع تعاظم حركة الهجرة من بلد إلى آخر، حيث أصبح البشر في حركة مستمرة، يحاولون أن يستبدلوا نماذج بديلة للانتماء تحل محل الروابط القديمة المفقودة أو الروابط الضعيفة (محمد أحمد درويش ، ٢٠٠٩م : ٢٦٥). لقد بدأ مبارك عصره بخطاب يدعو فيه إلى القضاء على الفساد، والتشديد على طهارة اليد، وإتاحة الحرية للجميع، ولكنه لم يف بهذه الوعود بشكل كامل، خاصة مع تدهور الأحوال في العشر سنوات الأخيرة من حكمه. وإذا كان عصر مبارك قد تميز بإتاحة مساحة لا بأس بها من

حرية التعبير، إلا أنه من ناحية أخرى، كان هناك فساد في الجهاز الشرطي، وانتهاكات في السجون لحقوق الإنسان.

على أرض الواقع، كان عصر مبارك امتداداً لعصر السادات، واستمر الشعب المصري في التذبذب والتفكك في بنائه القيمي وتصدع الهيكل الاجتماعي وانتشرت – ومازالت - أنواع من الأفلام والفنون الهابطة والأغاني التي لا مراعاة فيها للحياء. وصاحب هذا ازدياد حدة الفقر. وفي هذا المناخ، أصبح المصري عاجزا في التعبير عن ذاته مغتربًا عنها، فاقدًا لهويته في ضوء مناخ امتلأ بالتناقضات، ومصادر عديدة لتشكيل الوعي.

وعلى الرغم من كثرة السلبيات، ولكن عهده شهد تحسنًا مشهودًا في البنية التحتية، مثل تنفيذ مشروعات كبرى مثل مترو الأنفاق واستصلاح أراضي في الصحراء، وتحسن شبكة الاتصالات مما جعل التعامل مع الانترنت ميسراً للجميع، وتم إنشاء مدن جديدة وتحسن في شبكة الكهرباء والمياه. ولكن تم إغفال المواطن المصري روحيا ومعنويا وتجاهل دور الشباب وتهميشهم. أدي كل ذلك إلى اغتراب الشعب المصري عن مجتمعه وعن الواقع الذي يعيش فيه.

سادسا: ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م وإحياء الوعى الوطنى

كانت ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ مفاجأة بكل المقاييس، فعلى الرغم من اليأس الذي كان مخيما على الجو العام، ثم التذمر الخفي لمشروع توريث الحكم لجمال مبارك، إلا أن الثورة بدأت بحركة شبابية، ظن الكثيرون أنها ستنتهي كما انتهت مظاهرات سابقة، ولكن يبدو أن صبر المصريين الطويل كان قد نفذ؛ فخرجت الملايين في ثورة سلمية أدهشت العالم. وعبرت الثورة عن وعي وطني كامن لدى فئة واسعة من الشباب معترضين على السياقات السياسية والاقتصادية والاجتماعية مطالبين بـ "الحرية، العيش، الكرامة الإنسانية" ومطالبين بالاعتراف بمصريتهم كمواطنين لديهم الحق في العمل والعيش والحياة بكرامة داخل الوطن ومشاركتهم في القرارات وإدماجهم فيما يخص الوطن.

لعبت وسائل التواصل الاجتماعي دورها في قيام الثورة، حيث نشأت الثورة أولًا في العالم الافتراضي، ثم تم تجسيدها على الأرض. وأخرجت هذه الثورة وعيًا بالهوية الوطنية لم يكن ظاهرًا على السطح. ولكن ما زلنا في حاجة إلى تدعيم هذا الوعي بالهوية الوطنية، من أجل الوقوف أمام التحديات والتهديدات والصعوبات التي نواجهها الآن، خاصة تيارات الإسلام السياسي المتدرجة في تشددها، ومن ناحية أخرى ما نواجهه من تحديات اقتصادية واجتماعية، مازالت تدفع الشباب إلى الهجرة، وتضعف الروابط بينهم وبين الوطن.

بدأت ثورة يناير كثورة شبابية سلمية صباح يوم الثلاثاء ٢٥ يناير ٢٠١١م. احتجاجا على الأوضاع المعيشية والاقتصادية والفساد السياسي الذي كان سائداً لمدة ٣٠ عاما في ظل حكم محمد حسني مبارك. كان لصفحة " كلنا خالد سعيد " دور في تفجير ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م . فقد شهدت السنوات العشر السابقة على الثورة زيادة هائلة في التفاعلات على الفضاء الإلكتروني وهو ما سهل التواصل والتنظيم بين الأعضاء من خلال التغريدات اليومية والأنشطة التفاعلية على وسائل الاتصال(عبده ابراهيم على،٢٠١١ : ع ٢٤٨).

قيام ثورة ٢٥ يناير بطليعة شبابية أدى إلى تغيير الصورة الذهنية التي كانت سائدة عن الشباب قبل قيام الثورة، من أنهم شباب لا يهتمون بالشأن العام، وأن ليس لهم وعي وطني أو اهتمام مجتمعي ولكن ما حدث في ٢٥ يناير ٢٠١١ م، وتفجيرهم لهذه الثورة عكس وعي الشباب بهويتهم الوطنية. فقد خرجوا في مظاهرات سلمية تحولت إلى ثورة عبرت عن رغبة هؤلاء في حب الوطن ورغبته في استعادة ليس الأرض ولكن المعنى الحضاري لمصر وعكست إحساسه

بدوره كمواطن مصري. واتضح من خلال الثورة حرص الشباب على المصلحة العليا للوطن، واستعداده للاستشهاد لتحقيق الحرية. فبجانب إصراره على إسقاط النظام الحاكم، كان لديهم الإصرار والوعي على الحفاظ على كرامة الإنسان داخل وطنه (نجوى الفوال ، ٢٠١٣ م ص٢٩ ،عاطف الغمرى ، ٢٠١٢ : ١٠ - ١١)

كانت ثورة ٢٥ يناير سبباً في إجماع عام أن وسائل الاتصال على شبكات الإنترنت لم يقتصر دورها علي أنها مجرد وسيلة ترفيه، بل كانت وسيلة لقيام ثورة في الفضاء ما لبثت أن تحققت على الأرض، فقد جاءت الثورة بعد عقود من الاحباط، وتآكل الحقوق الوطنية والاجتماعية و انتشار اليأس نتيجة حرمان الشعب من المشاركة السياسية الحقيقية، وضعف القدرة على تلبية الاحتياجات الأساسية. (عمروعبد العزيز منير ، ٢٠١٥ م : ٢٧٤ – ٢٨٤).

إستطاع الشباب من خلال ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م، أن يعبروا عن وعيهم بهويتهم الوطنية، والحفاظ على وطنيتهم على الرغم من أن الكيان الاجتماعي في مصر قبل الثورة كان مخلخلا أو مفككا، وكانت النظرة إلى هؤلاء الشباب نظرة سلبية، حيث أشارت العديد من الدراسات أن أغلب الشباب لديهم إحباط وأنهم سلبيون ولا يشاركون في الحياة السياسية..

ويبدو أن ما كان يحدث من خلال أدوات التواصل الاجتماعي على الفضاء لم يكن واضحاً وظاهراً للتمحيص والدراسة، فد خلق هذا التواصل عبر الفضاء الافتراضي مجتمعًا موازيا له وجود يتعدى التواجد الجغرافي والمحددات الطبقية. ولم يكن الشباب يستقي معرفته من خلال الإعلام القومي المكتوب والمرئي الذي توجهه أيدولوجية السلطة الحاكمة، وإنما اعتمد على اجتهاده الخاص في تصفح كافة المواقع الإلكترونية، وتحصيل ما يروق له وما يتناسب معه من معلومات، ليكون رؤيته واتجاهه. ومع ذلك فإنه لم يفقد وعيه بهويته الوطنية ولم ينفصل عن هموم وطنه، بل كانت شغله الشاغل. (معن خليل العمر،٢٠١٤م:٢٨٢).

نستخلص من ذلك أن الشباب المصري بل الشعب المصري بشكل عام قد يدخل فى مرحلة كمون، وقد يعيش لسنوات من الصبر متحملاً الظلم أو القمع، ولكن وعيه بهويته الوطنية يظل حاضرًا وهذا ما أكدته ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م، والثورات التي قبلها . عبر الشعب المصري عن ذاته ووطنيته ، مؤكدا للعالم أجمع قدرته على تغيير مجتمعه، وقد كان هدفه في هذه الثورة إرساء أنماط نسقية جديدة لبناء اجتماعي مرن في بناءه ومفتوح في نموه ومتكافل في وظائفه، وعصري في ريادته لا يتقوقع على نفسه مع الحفاظ على هوية البلد الوطنية، والعمل على تدعيم قيم الولاء والانتماء لهذا الوطن (نجوي الفوال،٢٠١٣م:٣٠،معن خليل العمر ، ٢٠١٤م :٢٨٣)

تحول الوعى الوطني لدى الشباب على المستوى النفسي الاجتماعي إلى وعى جمعي، ثم مالبث هذا الوعي الجمعي أن تحول إلى وعي مجتمعي، يعكس الوجود الاجتماعي لجميع شرائح المجتمع بلا استثناء. وقد أبهر هذا الوعي العالم بشكل خاص. حيث قدم الشباب المصري نموذجا منفردًا في تحريك الوعى الفردي والجمعي بالهوية الوطنية لمواجهة الأيدولوجيات المسيطرة والفاسدة في المجتمع المصري. والتي أرادت طمس وتذويب الهوية الوطنية. (اعتماد علام، ٢٠١٤ م : ١٠٢-١٠٣)

وفي خضم هذا المناخ التي أتاحته الثورة فوجئ الشعب المصري وخاصة الشباب بوجود تيارات متأسلمة تريد أن تغير من هذا الوعي، وتهدد هويته الوطنية، وتغير هوية مصر الحضارية، وتفرض عليه أطراً غريبة تريد أن تشكلها في إطار يحمل عنوان "الإسلام "من خلال الإسلام السياسي فهذه التيارات أرادت أن تبدل هويته السمحة والوطنية إلى هوية متشددة، وذلك في الفترة التي تولى فيها الحكم "محمد مرسي ". وكان هدفهم محو الهوية الوطنية في مقابل الدعوة إلى قيام "خلافة إسلامية"، تذوب فيها الخصوصيات التاريخية والثقافية والهوية

الحضارية للشعب المصري. لم يقبل الشعب المصري تغيير هويته الحضارية، فكانت انتفاضة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ التي خرج فيها الشعب كله عن بكرة أبيه في مظاهرة لم يشهد لها العالم مثيلاً لإسقاط الحكم (السيد نجم،٢٠١٣م:٧)، وانحاز الجيش إلى الشعب، وباسم الشعب عرض الجيش عدة طلبات على الرئيس مرسي، رفضها كلها، فلم يكن هناك بد من إزاحته عن الحكم، وتشكيل حكومة انتقالية مؤقته يرأسها رئيس المحكمة الدستورية العليا، لمدة عام، وبعدها يتم تشكيل مجلس الشعب، واختيار رئيس للجمهورية، وكتابة دستور جديد. ولكن تم إنتخاب رئيس الجمهورية قبل تشكيل مجلس الشعب، وتمت تكوين لجنة لكتابة الدستور، وخرج دستور ٢٠١٤ ليكون مرجعية الحكم بعد تولي الرئيس عبد الفتاح السيسي رئاسة الجمهورية.

تحليل بنائي تاريخي للنتائج:

١ـ اختلفت معاني الوطنية المصرية والمناداة بها على مدى الفترات والعصور التاريخية، حيث تأثر الوعي بها بالأيديولوجيات التي كانت سائدة في كل فترة، إذ فجرت الحملة الفرنسية الشعور الوطني، وكان الوعي بالهوية الإسلامية دافعاً للمصريين للدفاع عن مصر ضد المستعمر الأجنبي. وفي الوقت ذاته فإن اختيار المصريين لمحمد علي واليًا على مصر، تمخض عنه اتجاه نحو استقلال مصر عن الخلافة العثمانية، وبزوغ رؤية للشخصية المصرية الحضارية، خاصة بعد البعثات إلى فرنسا، ورجوع هذه البعثات لتكون أساسا لتكوين مصر الحديثة، التي كانت متطلعة للتقدم والتطور دون أن تفقد أصالتها الحضارية.

٢ـ عكست ثورة عرابي الاعتزاز الوطني للشعب المصري في مواجهة التمييز لصالح الأتراك، حيث تنامى فيها الوعي الوطني بالمصرية من خلال المطالبة بحقوق المصريين في المساواة مع الأتراك.

٣. تفجر الوعي الوطني عندما تدخلت بريطانيا العظمي في حكم البلاد، وكان مصطفي كامل رمزا لانتفاضة الشعب ضد الحكم البريطاني.

٤ـ كانت ثورة ١٩١٩ مرحلة تاريخية هامة حيث استعادت مصر هويتها الحضارية التي تجمع المسلمين والمسيحيين في نسيج واحد دون تمييز، وتأكيد قيمة الانتماء إلى الوطن الواحد التي تتعدى أي تعدد ديني أو مذهبي.

٥ـ عكست ثورة ١٩١٩ م، إدراك الشعب المصري لهويته الوطنية من خلال شعارات مختلفة "كشعار تعيش مصر حرة ". انصهر الشعب المصري كله فى كيان واحد وخروجه من الكيان الفردي إلى الكيان الجمعي. وذلك يعكس مدى استعداد المصري لأن ينسى ذاته الفردية من أجل هدف واحد وهو الدفاع عن وطنه والتفانى من أجله، وقد ظهر ذلك أيضا واضحا في ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ م مع اختلاف الظروف ومتغيرات العصر عن ثورة ١٩١٩.

٦ـ تعددت الشعارات التي عبرت عن وعي الشعب المصري بهويته الوطنية حيث نجد أن الشعب عبر عن نفسه بعد خلع مبارك بجملة تلقائية خرجت من أعماقه: "ارفع راسك فوق إنت مصري"، وإجماع الشعب كله في ميدان التحرير على كلمه واحدة "الشعب يريد إسقاط النظام". ونجد أن الشعب في ثورة الف وتسعمائة وتسع عشر ١٩١٩ رفع شعار "الدين لله والوطن للجميع". الوعي الوطني يظهر بقوة ولكن يعبر عن نفسه بلغة تتناسب مع العصر ومتغيراته.

٧ـ لعب الخطاب السياسي منذ الستينيات والسبعينيات وإلى ما قبل قيام ثورة٣٠ يونيو دورًا في تشكيل الوعي بالهوية سواء(كانت عربية، اسلامية)على حساب الهوية المصرية، فقد حرص جمال عبد الناصر على انتشار فكرة العروبة، مما أدي إلي التركيز علي الهوية العربية على حساب الهوية المصرية، وجاء من بعده السادات الذي حرص على تكثيف الوظيفة السياسية للدين

بإطلاق شعار" دولة العلم والايمان". والمصالحة مع الإخوان، مما أدى إلى ظهورهم في الشارع المصري وممارسة السياسة، بعد أن أتاح لهم فرصة ظهور بعض رموزهم، كما حرص "السادات" على توظيف بعض النصوص الدينية في الخطاب السياسي الرسمي، في المناسبات السياسية والأعياد الوطنية وافتتاح دورات مجلس الشعب والشورى ودعمه لإنشاء تيار إسلامي بين أطلال الجامعات لمواجهة الناصريين واليساريين. وزاد انتشار هذه التيارات في فترة حكم مبارك وتمثيل نسبة لهم في المجالس التشريعية.

٨- شهدت مصر العديد من التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية وخاصة بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م، والتي كان من أبرزها تبني سياسة الانفتاح الاقتصادي، وتخلي الدولة عن العديد من أدوارها فلم يعد التعليم مجانيًا، وارتفعت الأسعار، واتسعت الفوارق الطبقية نتيجة الفوارق بين الدخول مما أدى إلى ظهور طبقة رأسمالية جديدة، وزيادة المد الاستهلاكي الذي ألقى بظلال كثيفة على الترابط الوطني، وعوامل الوفاق الاجتماعي..

٩- تعد العولمة عامل من العوامل التي أثرت في خلق الهويات الجزئية؛ فالتطور السريع في الاتصالات وسهولة وسرعة انتقال الناس حول العالم والطابع العالمي للتسويق من حيث الأماكن والأساليب والصور الانطباعية كل ذلك قاد إلى خلق تأثيرات ثقافية، حيث لم يصبح للأفراد هويات مقتصرة طبقا للمكان الذي ولدوا فيه، بل أصبح بإمكانهم الاختيار من بين نطاق واسع لمختلف الهويات. فهم يستطيعون تبني شكل الملابس وطرق التحدث وكذلك أسلوب الحياة والقيم الخاصة بأي بلد، وظهر هذا جليا في عصر الرئيس المخلوع مبارك. وعلى الرغم من ذلك، كان هناك وعيا بالهوية الوطنية تجاوز هذه الاختلافات.

١٠- كان لوسائل التواصل الاجتماعي دور في التنظيم لقيام ثورة ٢٥ يناير، وهو ما يؤكد أن التواصل الإلكتروني له جانبه الإيجابي، وجانبه السلبي، وأن هناك وعيًا بالوطن قد يتعدى اختلاف الهويات الثقافية الناشئة من التقدم التكنولوجي وتنوع مصادر تشكيل الوعي.

١١- رفض الشعب المصري تغيير هويته الحضارية عندما تولى الإخوان المسلمون الحكم عام ٢٠١٢، فكانت انتفاضة ٣٠ يونيو، وكانت هذا الانتفاضة تأكيداً أن الإخوان المسلمين لم ينجحوا في التأثير على الوعي بالهوية الوطنية لدى الشعب المصري عامة، ولدى الشباب خاصة.

١٢- إذا كانت ثورة ٢٥ يناير، وانتفاضة ٣٠ يونيو قد أكدت على وجود وعي بالهوية الوطنية لدى الشعب المصري عامة، والشباب على وجه الخصوص، إلا أن هناك حاجة إلى مزيد من الجهود من أجل تغذية الوعي بالهوية الوطنية عن طريق الإعلام والتعليم والثقافة، بالتوازي مع تمكين الشباب وفتح الأبواب أمامهم للمشاركة السياسية؛ فالوعي بالهوية الوطنية ممارسة يومية لدى أي شعب يشعر أن وطنه هو الملاذ والأمل والمستقبل، وأنه قادر على المشاركة في اتخاذ القرارات السياسية الخاصة بهذا الوطن، ولذا فإن أي استبعاد أو تهميش لدور المواطن في التعبير عن نفسه وأفكاره، قد يؤدى إلى تفكك الرباط بينه وبين الوطن بشكل أو آخر، أو يؤدي إلى حركات احتجاجية فوضوية تضر بالمجتمع وتعرقل تقدمه.

قائمة المراجع:

١. إبراهيم مدكور (١٩٧٥م) : معجم العلوم الاجتماعية ، الهيئة العربية العامة للكتاب.
٢. أحمد بيلي(٢٠٠٧م):"قيم العمل في الخطاب السياسي"، في" قيم العمل الجديدة في المجتمع المصري"، ط١، القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية.
٣. أحمد زكي بدوي (١٩٨٢م):"معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية "، مكتبة لبنان.
٤. أحمد مجدي حجازي (١٩٩٢م): علم اجتماع الازمة رؤية نقدية للنظرية السوسيولوجية ، دار الثقافة العربية .
٥. إسماعيل سراج الدين (٢٠١٥م):"التحدي رؤية ثقافية لمجابهة التطرف والعنف"،مكتبة الإسكندرية.
٦. إعتماد محمد علام (٢٠١٤م):"قراءة حول ملامح الوعي التنموي العربي في فكر عبد الباسط عبد المعطي"، في " دراسات نقدية في علم الاجتماع مهداة إلي روح الدكتور عبد الباسط عبد المعطي"، ط١، دار العين للنشر.
٧. أنور عبد الملك (٢٠٠٩م):" الوطنية هي الحل"، ط١، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة.
٨. جوردون مارشال(٢٠٠١):"موسوعة علم الاجتماع "، ترجمة محمد الجوهري وآخرون،المجلد الثاني، المجلس الأعلي للثقافة، القاهرة.
٩. سمير نعيم (١٩٨٢ م) : "النظرية في علم الاجتماع "،ط١، دار المعارف.
١٠. عاطف الغمري (٢٠١٢م):"مصر تستعيد روحها ، ثورة ٢٥ يناير وإعادة بناء الدولة)،ط١، دار نهضة مصر.
١١. طارق البشري(١٩٨٧م):"الديموقراطية ونظام٢٣يوليو١٩٥٢-١٩٧٠م"، ط١، مؤسسة الأبحاث العربية ، بيروت، لبنان.
١٢. عبد الباسط عبد المعطي(١٩٧٩م):"الاعلام وتزييف الوعي"، دار الثقافة الجديدة.
١٣. عبد الجواد يسن، بدون تاريخ نشر:" تطور الفكر السياسي في مصر خلال القرن التاسع عشر بحث في بدايات التوجه الغربي"، منتدي سور الأزبكية، الموقع Http :www.books.4all.net
١٤. عبده إبراهيم علي(٢٠١١م):" ٢٥ يناير الرؤية والقوي والمستقبل"، مجلة الثقافة الجديدة، ع٢٤٨، القاهرة.
١٥. عبد الرحمن الرافعي(١٩٤٦م):"ثورة ١٩١٩تاريخ مصر القومي من١٩١٤إلي ١٩٢١م"، الهيئة العامة للكتاب.
١٦. علي فهمي(١٩٩٣):"أزمة القيم في مصر: حول المسار وتبادل المراكز"، مجلة القاهرة ، ع١٢٢.
١٧. علي ليلة(١٩٩٣م):"الشباب العربي : تاملات في ظواهر الإحياء الديني والعنف "،ط٢، دار المعارف، القاهرة.
١٨. ـــــــ (٢٠٠٣م):"الثقافة العربية والشباب"، ط١، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.
١٩. ـــــــ (٢٠١٥):"مكونات بناء الهوية وآليات ترسيخها"، مجلة أحوال مصرية، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية. ع٥٥ ، شتاء ٢٠١٥م.
٢٠. علياء رضاه رافع(١٩٩٦م):" الشخصية المصرية دراسة أنثروبولوجية لمدرسة الفن والحياة"، دار صادق للنشر، الإسكندرية.
٢١. ـــــــــ (٢٠١٦م):"عين رؤية وارتواء سيرة ومسيرة"،ط١،مؤسسة البناء الإنساني والتنمية.
٢٢. عمرو عبد العزيزمنير(٢٠١٥م):" ثورات مصر الشعبية منذ فجر التاريخ وحتي ٢٥يناير"،الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.

٢٣. كمال التابعي (١٩٩٦م):"تشوهات قيم الذات في المجتمع ومظاهرها وظروف تشكلها"، في " الذات والمجتمع في مصر"، تحرير أحمد زايد وسامية الخشاب، كلية الآداب، قسم الاجتماع، أعمال الندوة السنوية الثالثة. جامعة القاهرة (١١-١٢) مايو ١٩٩٦م.
٢٤. محمد الباهلي (٢٠٠٩م):"التعليم والهوية الوطنية "،ط١،وزارة الثقافة والشباب وتنمية المجتمع ، الإمارات.
٢٥. محمد صبري(١٩٢٦م):" تاريخ مصر الحديث من محمد علي إلي اليوم"، ط١، دار الكتب المصرية.
٢٦. محمد نعمان جلال ،مجدي متولي (١٩٩٧م):"هوية مصر"،الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٢٧. محمود أمين العالم(٢٠٠٠م):" من نقد الحاضر إلي ابداع المستقبل مساهمة في بناء المشروع النهضوي العربي"، ط١، دار المستقبل العربي.
٢٨. مزيان وردية (٢٠١٢م):"الإغتراب الاجتماعي و تأثيرة علي الهوية الوطنية لدي الشباب الجامعي الجزائري"، رسالة ما جستير، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية،علم الاجتماع، قسم العلوم الاجتماعية،الجزائر.
٢٩. معن خليل العمر (٢٠١٤م):"علم إجتماع الثورة "،ط١،دار وائل للنشر.
٣٠. ميلاد حنا (١٩٩٩م):" الأعمدة السبعة للشخصية المصرية"، دار نهضة مصر.
٣١. ناصرالأنصاري(١٩٩٣م):" المجمل في تاريخ مصر، النظم السياسية والإدارية"، ط١، دار الشروق، القاهرة.
٣٢. نجوي الفوال (٢٠١٣م):"الشباب المصري :رؤية كلية "، في التقرير الاجتماعي المصري ، "الشباب المصري همومه واهتماماته"،المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية.
٣٣. همت بسيوني (٢٠١٣م):"الشخصية المصرية وصورة الآخر"،ط١، مصر العربية للنشر والتوزيع.
٣٤. يحيي مرسي عيد بدر(١٩٩٨م):"الإدراك المتغير للشباب المصري،دراسة في الأنثروبولوجيا المعرفية"، سلسلة البحوث والدراسات الأنثروبولوجية، البيطاش سنتر للنشر.

المراجع باللغة الأجنبية:

1- Longman dictionary of the English language(1984): "great British culture center".

2-Max Horkheimer, eclipse of reason, 5 septmper 2002, http: llwww.yahoo.com

3-Maton, Kenneth (2002):"Making A difference the social Ecology of social transformation ",American journal of community psychology,vol.28,issuel.

المراجع من علي مواقع الانترنت:

١- إبراهيم رمضان الديب ،(عبقرية الهوية الوطنية في بناء الدولة الحديثة)،الأثنين ٢٠١٤/٥/٥م ،أخر تحديث ١٢:٥٨ Http;wwwalgazera.net/knowledgegate

٢- السيد نجم (٢٠١٣م):"هل الهوية المصرية في خطر"، ميدل ايست أون لاين، محرك البحث جوجل، تاريخ الدخول ٢٠١٦/١٠/٢٩م، الساعة ١١:٤٠ ص، يوم السبت،الموقع:

http:wwwMiddle-est-online.com

٣ـ موقع المركز المصري للشئون الخارجية(٢٠١٠م):" السياسة الخارجية المصرية بين جمال عبد الناصر وأنور السادات ومحمد حسني مبارك"،محرك البحث جوجل
https://sites.google.com/site/misraffairs/readings/egypt

٤ـ محمد عبد العليم(٢٠١٣م):" مصر تبحث عن هويتها: سؤال الهوية بعد الثورة"، الثلاثاء ١٩/مارس/٢٠١٣ ـ ١١:١٩ ص، دراسات المركز العربي،
http://www.albawabhnews.com/24068